

مُحاصَرةً بالمستوطنات والطرق الالتفافية والمنشآت العسكرية. والطرق الالتفافية بذلك بمنزلة سياج أمني حول المستوطنات، كما أنها تجعل المستوطنين الذين يعيشون وسط القرى والمدن العربية قادرين على التحرك دون أن يضطروا إلى عبور الأراضي الفلسطينية أو مواجهة الفلسطينيين .

وقد كثفت إسرائيل بناء هذه الطرق، التي تخترق معظم مناطق الضفة الغربية المأهولة بالسكان منذ عام ١٩٩٥، وتم الإعلان عن خطط لشق طرق جديدة في فبراير وأبريل عام ١٩٩٧، يتم من خلالها تجديد طرق ترابية قائمة وشق أخرى، إضافة إلى فتح طرق سريعة من الشمال إلى الجنوب عبر وادي الأردن، وشق مداخل ومخارج جديدة في شمال الضفة الغربية، وشق مجموعة طرق عسكرية .

وقد بلغ عدد هذه الطرق (عام ١٩٩٨) حوالي عشرين طريقاً تغطي ٤٠٠ كم، تتفرع من الطريق الرئيسي المعروف باسم «الطريق ٦٠» الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب لجزئي الضفة الغربية. وبعض هذه الطرق ما زال قيد الإنشاء، وتعتمزم سلطات الاحتلال بناء خمس طرق أخرى. ويلتف الطريق ٦٠ حول المدن الفلسطينية في الضفة، ويربط عشرات المستوطنات المنتشرة في كل أنحاء الضفة .

كل هذا يجعلنا نرى الطرق الالتفافية لا باعتبارها مجرد ظاهرة سياسية اقتصادية، وإنما صورة مجازية أو أسطورية تعبّر بشكل متبلور عما آل إليه الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الصهيوني في فلسطين المحتلة. فهو استيطان يستند إلى أكذوبة (أرض بلا شعب) لم يعد بمقدور صاحبها الاستمرار فيها، فذبّ فيها الموت. ولكن الأكذوبة أساسية لبقائه واستمراره، ولذا فهو يحاول أن يتشبث بها وييث فيها الحياة بقدر الإمكان بالطرق الالتفافية. فهي محاولة أخيرة يائسة بعد أن فشل الاستيطان الصهيوني في جانبه الإحلالي، ولم يتمكن من إبادة الشعب أو طرده، أو حتى تقليل كثافته، وأثبتت فلسطين أنها ليست أرضاً بلا شعب، بل هي أرض مأهولة يزرعها ويحراثها نسلها. ولذا فالحل أن تصبح فلسطين «أرضاً يسكنها شعب لا تقع عيوننا عليه، فكأنها بالفعل أرض